

الرَّسَالَة ٢٩

الخشبة التي في العين

(Arabic - The plank that is in the eye)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: الخشبة التي في العين

ومن إنجيل متى الأصحاح السابع نقرأ الأعدادَ من الأول إلى الخامس.

"لا تدينوا لكي لا تدانوا.. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون.. وبالكيل الذي به تكيلون يُكَلِّمُ لكم. ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك.. وأما الخشبة التي في عينك فلا تقطنُ لها؟! أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك؟! يا مرائي.. أخرج أولاً الخشبة من عينك.. وحينئذ تبصرُ جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك".^١

لماذا جاءَ السيدُ المسيحُ؟. جاءَ ليدعوَ خطاةَ إلى التوبة.. ما جاءَ ليدعوَ أبراراً.. فلقد جاءَ بإنجيل متى الأصحاح التاسع قولُ الرَّبِّ يسوع: "الأيُّ لم أت لأدعوَ أبراراً بلُ خطاةَ إلى التوبة".. لأنه ما نفعُ رسالة الإنجيل لمن يرى في نفسه أنه في غنى عنها وهو المتفاخر المتعالي على الآخرين ببرِّه وصلاحه؟!.. ما نفعها له؟!.. وهو يدين غيره.. لأنه يرى في أعينهم قذى يشمئز منه.. وأما الخشبة التي في عينه فلا يفتنُ لها!.. لا همَّ له إلا أن يلفتَ نظرَ أخيه بشتى الوسائل.. للقذى الذي يراه في عينه.. ولكن عيوبه مع ضخامتها يراها بمنظار مُصعَّر والقذى الذي في عين أخيه.. فلا يتورع من استخدام منظاره المُكَبَّر.^٢

إنَّ هذا النوع من الناس لا نفع لرسالة الإنجيل له إلا إذا ألقى بالمنظرين جانباً وابتدأ يستخدمُ العينَ المجرّدة من الكبرياء والكرهية والحقد والحسد واستخدم عينَ المحبة المسيحية البسيطة.. وذلك يحدث لو اختبر عملَ القوّة المحرّرة في حياته.. فإذا تحرر يستطيع أن يرى العيوبَ لا لينتقدَ بل ليعالج بروح الوداعة.. إنَّه سيقى محروماً من برِّ الله وسلامه حتى يرى الخشبة في عينه أولاً ويخرجها.. لقد كتب بولس الرسول في رسالته إلى مؤمني غلاطية بالأصحاح السادس يقول: "أيها الإخوة.. إنَّ انسبَقَ إنسانٌ فأخذ في زلةٍ ما.. فأصلحوا أنتم الرُوحانيين مثلَ هذا بروح الوداعة.. ناظراً إلى نفسك لئلا تجربَ أدت أيضاً.. احمَلوا بعضكم أثقالَ بعض".^٣

لقد ضرب السيد المسيح مثلاً لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين.. عن فريسيّ وعشّار أتهدما دخلا إلى الهيكل ليصليا.. أدى كلُّ منهما صلواته.. ثم يُعقبُ السيدُ المسيح بالقول: إنَّ العشّارَ نزلَ إلى بيته مبرراً دون الفريسيّ.. لماذا كانت صلاة العشّار مقبولة؟. ولماذا أغلقت السماء أبوابها في وجه ذلك الفريسيّ؟. أوليس كلُّ مَنْ يقرعُ يفتحُ له؟. أوليس كلُّ إنسانٍ في حاجةٍ إلى غفران وتبرير؟. لنتأملُ صلاةَ الفريسيّ لنعرّفَ السببَ.. لقد قال الفريسيّ في صلواته أنه يصومُ مرتين في الأسبوع.. ويقدمُ عُشراً من أمواله.. فلماذا أوصدت السماء أبوابها دون اعتبار لأصوامه وصلواته؟. ولا شكَّ أنه جاهدَ فيها محرمّاً على نفسه ما لذ وطاب من أطعمة.. ودون اعتبار لأموال أنفقها على المحتاجين.. وعلى تعمير بيوت الله.^٤

ماذا فعل العشّارُ من خير استحقَّ من أجله تبريراً؟.. لقد قال الرب يسوع أنه جاء إلى الهيكل ووقف من بعيد ولم يشأ أن يرفع عينيه نحو السماء لعلمه أنه غيرُ مُستحقّ.. لقد جاء معترفاً أنه غيرُ مستحقّ لذلك استحقَّ ما لا يستحقّ. جاء يعترفُ بأنه يُعاني من خشبةٍ في عينه فوقفَ من بعيد قائلاً: "اللهم ارحمّني أنا الخاطيء". "فنزلَ إلى بيته مبرراً دون ذلك". ما أدان أحداً على عيبٍ في صلواته. أما الفريسيّ فلم يكتفِ بأنه تغافلَ عن الخشبة التي

^١ إنجيل متى ٧: ١ - ٥ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ إنجيل متى ٩: ١٣

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني غلاطية ٦: ١ - ٢

^٤ إنجيل لوقا ١٨: ٩ - ١٤ & ١٠: ١١ ، إنجيل متى ٧: ٨

فى عینه بل رأى القذى فى عیون الآخرفن.. وتمعّد أن یظهره مُجسّمًا فى صلاته إذ قال: "اللهم أشكرک لأبى لستُ مثل باقى الناس الخاطفین الظالمین الرّثاة ولا مثل هذا العشار!". كان قلبه فیاضاً بإدانةٍ للآخرین. "ومن فضلة قلبه تكلم لسانه". كان قلبه فیاضاً بكبریاء وإعجاب بذاته!. فهو البارّ الذى یصومُ ویقدّمُ عَشْرًا مِنْ أَمْوَالِهِ. لقد صلی الفریسیّ قارعاً باب السماء فما انفتح له لأنه لم یحسن قرع الباب. أما العشارُ فقرع على صدره فى انكسار قبل أن یقرع باب السماء. فاذا بالباب یفتح وتقبلُ صلاته وینزلُ إلى بیته مرفوع الرأس مبرراً^١.

كثیرون یصلون ولا ینالون شیئاً لأنهم أغمضوا عیونهم على خشبةٍ فیها وأبوا أن یعترفوا بها بل أصرّوا على إبقائها.. یا للأسف یجهد الإنسان عینه كى یرى قذى فى عین أخیه وهو نفسه یعانى خشبة فى عینه!.. ولمثل هذا یقول الربّ یسوع: "یا مرأى.. أخرج أولاً الخشبة من عینك وحينئذ تبصرُ جیداً أن تخرج القذى من عین اخیک". مدّح الفریسی نفسه قائلاً: اللهم أشكرک لأبى لستُ مثل باقى الناس ولا مثل هذا العشار!. لیته كان مثله وانكسر فى محضّر الله. لو فعل ذلك الفریسی ما فعله العشارُ فى الهیکل. لنزلُ إلى بیته مبرراً مثل ذلك^٢.

دخل يوماً إشعیاء النبىّ الهیکلَ فرأى رؤیا هزت کیانته. رأى ملائكة الله فى الهیکل وسمِعهم یهتفون أمام العرش قائلین: "قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربّ الجنودِ مجدّه ملءُ کلّ الأرض". فصرخ من أعماقه: "ویل لى إیبى هلكتُ لأبى إنسانٌ نجسٌ الشفین وأنا ساکنٌ بین شعبِ نجسِ الشفین". إن نبىّ الله إشعیاء أمام المقادس رأى الخشبة فى عینه ورأها فى أعین شعبه. رآها فى نفسه أولاً ثم رآها فى شعبه ثانياً ورؤیتنا للخشبة فى أعیننا لا تمنع رؤیتنا لها فى أعین أحبائنا بل تجعلنا نتواضع ونتذلّل أمام الله من أجل أنفسنا ومن أجل أحبائنا. نحن فى محضّر العلىّ نتملکنا مشاعرٌ كمشاعر إشعیاء فصرخ من أعماقنا: "ویل لنا!" إذ کیف نترأى ونحن فى نجاستنا أمام بهاء مجد الله!.. وأبى شركةٍ لنا مع القدوس الذى ینسب للملائكة حماقة والسماوات غیر طاهرة بعینه!^٣

إن إشعیاء بعد أن اعترف أنّه نجسٌ الشفین وأقرّ بخطیته.. طار إليه فى الحال واحدٌ من السرافیم وبیده جمره أخذها بملقط من المذبح ومسّ بها فمه. وقال له: "إنّ هذه قد مسّت شفتیک فانترع إثمک وکفر عن خطیّک". قد تكون الخشبة فى العین زهواً بمواهبنا أو بقدراتنا أو إعجاباً بخدماتنا وتضحياتنا وما حصلنا علیه من مالٍ أو جاهٍ.. فیرى الربّ أنّ هذه تشكل خطراً على حیاتنا. فاذا بحکمته یلاشى ما نفتخر به ونعتز. ویزیل بنفسه الخشبة التى تحزمننا من رؤیة أنفسنا على حقیقتها. وتحزمننا من رؤیة جمال العشرة مع الله والحياة مع المسیح. وهنا نکتشف أنّ الحاجة إليه وحده. فردد قول بولس الرسول: "خسرتُ کلّ الأشیاء وأنا أحسبها نفاية لکى أربح المسیح". لا تحزن أبى على شىء خسرتّه.. فربّما كان قصدُ الربّ أن یأتیک بربحٍ أعظم مما خسرتّه^٤.

قرأت قصة عن فتان شهیر كان یقف يوماً مع مُساعدٍ له على عارضة خشبیة صغیره معلقة بسقفٍ بهو کبیر.. وبعد أن أتمّ الفتان رسمَ لوحةٍ رائعة على الحائط.. نسی نفسه وأخذ یتراجع للخلف وینظر فى خیلاء وزهو إلى ما أبدعت یمینه. وما بقى إلا خطوة واحدة للوراء وتزلق قدمه لیسقط من علوٍ شاهق. فاذا بمُساعدِهِ فى لحظةٍ خاطفة یغمس الفرشاة فى الألوان بیده ویسوه تماماً للوحة الفنیة التى تعب الفتان فى إخراجها.. تقدّم الفتان مسرعاً إلى الأمام وهو یصرخ: لقد شوّهتُ أبداع صورته!.. فأجابهُ مُساعدُهُ: اعلم هذا سببى.. إبتنى شوّهتُ أبداع صورته!. ولکنى أنفدتُ أعظم فتان!. لقد قال الربّ یسوع ما ذکره البشیرون متى ومرقس ولوقا کلّ منهم فى إنجیله. وهذا نصّه: "لأنّهُ ماذا ینتفع الإنسان لو ربح العالم کلّه وخسر نفسه.. أو ماذا یُعطى الإنسان فداءً عن نفسه!?"^٥.

أدعوك أبى لتشارك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. اعترفُ أمام جلالک بأبنتى أعانى من خشبةٍ فى عینى. اشفینى إلهى لأرى نفسى على حقیقتها. حرّر فکرى کى لا أذین غیرى. قدس قلبى وأملأه حباً لک ولإخوتى.. أرفع صلاتى فى اسم یسوع.. واتقا من استجابتک یا من وعدت بقولک: من یقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أبى القارئ العزیز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غیرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجیل متى ١٢: ٣٤ ، إنجیل لوقا ٦: ٤٥

^٢ رسالة یوحنا الرسول الأولى ١: ٩

^٣ سفر إشعیاء ٦: ١ - ٧ ، سفر آیوب ٤: ١٨ & ١٥: ١٥

^٤ سفر إشعیاء ٦: ٦ - ٧

^٥ إنجیل متى ١٦: ٢٦ ، إنجیل مرقس ٨: ٣٦ ، إنجیل لوقا ٩: ٢٥